إضاءات نقدية (فصلية محكّمة)
السنة الرابعة – العدد الثالث عشر – ربيع ١٣٩٣ش / آذار ٢٠١٤م
صص ١٤٦ ـ ١٢٥

روايـات نجيب محفوظ فى ضوء النقـد الاجتماعى مع عناية خاصة برواية "أولاد حارتنا"

عبدالقاسم ترابى*
سيد حسين سيدى**

الملخص

إنّ أىّ أثـر أدبى خاضع فى وجوده وتطوره للظـروف الزمانية والمكانية التى تلعب الـدور البـارز فى ظهوره. ولا يمكن تصـور وجود أثر أدبى خارجهمـا. يعتبر النقد الاجتماعـى محاولـة لإبراز العلاقة بـين المجتمع والأدب فموضـوع علم الاجتماع الأدبى وضع أساسه فى القرن التاسع عشر الميلادى، فقد طرحت شخصيات من مثل مدام دواستال وابيوليت تين وفلاسفة من مثل هيغل وماركس مبادئ كانت التطورات التالية تابعة لها. ولا شّـك فى أنّ ظهور الرواية كنـوع أدبى كان تحت تأثير ظروف اجتماعيـة خاصة ومن ثم تأثـر المجتمع بالرواية وبأفـكار الروائيين، فهناك علاقة متبادلة بين الأثر الأدبى وبين المجتمع من حيث التأثير والتأثر.

تحاول هذه الدراسـة إلقـاء الضوء على جانب من روايـات نجيب محفوظ فى ضوء النقـد الاجتماعى مع التركيز على رواية أولاد حارتنـا، ذلك أنّ نجيب محفوظ يعد مـن المهتمين بالجوانب الاجتماعية فى آثاره الروائيـة. كما أنّ آثاره الروائية تركت بصماتها على المسار الاجتماعى فى المجتمع المصرى.

المفردات الدليلية: النقد الاجتماعى، الرواية، نجيب محفوظ، أولاد حارتنا.

---

*. طالب دكتوراه فى اللغة العربية وآدابها، الوحدة الدولية بجامعة فردوسى فى مشهد، إيران.
**. أستاذ فى قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة فردوسى فى مشهد، إيران. Tourabii@yahoo.com
التنقيح والمراجعة اللغوية: د. فاطمة پرچگانى
تاريخ الوصول: ١٣٩٢/٩/٢٨ش تاريخ القبول: ١٣٩٣/٣/١٠ش

المقدمة

كانــت الثــورة المصرية فى مارس عام (١٩١٩م) واســتقلال مصــر عام (١٩٢٢م) ووضع الدســتور إيذانا ببداية عهد جديد فيها لتحقيــق الحياة الديموقراطية والأهداف القوميــة والوطنية. ولعبــت هذه التطورات دوراً بارزاً فى الدخــول إلى أجواء جديدة فى الحياة السياســية والاجتماعية والثقافية فى مصــر وكان الأدباء من المتأثرين بهذه الأجواء حيث انسجموا مع هذه التطورات الاجتماعية بل كان لهم إسهام فى خلق هذه التطــورات فى المجتمع من خلال الآثار الأدبية ذات الصبغة الاجتماعية والإنســانية. حيث يمكن الإشــارة فى هذا الصدد إلى أدباء من مثل محمد المويلحى ومحمد حســين هيــكل وعبدالقادر المازنى ومحمود تيمور وطه حســين وتوفيق الحكيم وعباس محمود العقاد ويوسف السباعى وإحسان عبدالقدوس و ... غير أنّ نجيب محفوظ الذى يعدّ بحق من ألمع نجوم الأدب العربى المعاصر قد اســتطاع أن يبدع العديد من الآثار التى مرّت بمراحل تاريخية واجتماعية وفلســفية والتــى تعتبر نتيجة معرفته العميقة لحياة الطبقات المصرية المتوســطة فى الأحياء المصرية القديمة كالجمالية والعباســية، يسعى هذا المقال إلى الإجابة على بعض الأسئلة منها:

١. ما هى المشاكل التى حاول نجيب محفوظ تسليط الضوء عليها فى رواياته؟

٢. هــل نجح نجيب محفوظ فى إبراز هذه المشــاكل فى آثاره ومــا مدى نجاحه فى التأثير عليها؟

٣. ما هى الآثار التى يمكن دراستهما فى هذا السياق وهل ظهر الجانب الاجتماعى فى جميع آثاره؟

٤. وما مدى تأثيرها على الوضع الاجتماعى ؟

نجيب محفوظ فى سطور

لابــدّ قبل الدخول فى ثنايا البحث من إشــارة عابرة إلــى حياة نجيب محفوظ التى لاشكّ فى أنّها كانت مؤثّرة على نتاجاته الأدبية فهناك علاقة متبادلة بين حياة الأديب والمجتمــع الذى ينتمى إليه كما مرّ آنفاً. «لقد كانت الطبقة الاجتماعية التى ينتمى إليها

الأديب غير ظاهرة فى آثاره فى العصور الكلاسيكية غير أنّها بدأت بالظهور فى العصور الجديدة حيث إنّ الأدباء الكلاسيكيين كانوا فى خدمة الطبقات العليا والأرستقراطية غير أنّ أفراد المجتمع من المخاطبين قد حلّوا اليوم محلّ أولئک الأرستقراطيين.» (فيلک ووارن، ١٩٩٨م: ١٠٣)

مولده ونشأته

«ولد نجيب محفوظ فى حىّ الجمالية بمدينة القاهرة فى ١١ من ديسمبر عام ١٩١١م.» (العنانى، ٢٠٠٢م: ١٩) «وكانت ولادته متعسّرة واستدعى أحد أكبر أطباء التوليد فى ذلک الوقت وهو نجيب محفوظ باشا، فقرّر والداه عبدالعزيز السبيلجى والسّت فاطمة إطلاق اسم الطبيب القبطى الكبير عرفاناً بالجميل.» (سلماوى، ٢٠٠٧م: ٧٥) «فنشأ وعاش فى أسرة متوسطة الحال.» (المهنا، ١٩٩٦م: ١٣) «فى بيئة شعبية يسيطر عليها جوّ دينى صارم وتقاليد اجتماعية محافظة.» (وادى، ١٩٩٠م: ٢١٥) «كانت أمّه سيدة متدينة متحررة إلى حدّ ما، وكانت تصحبه معها دائماً فى زياراتها إلى الأهل والجيران وهكذا رأى كثيراً من مناطق القاهرة.» (الغيطانى، ١٩٨٠م: ٩) «وكان والده موظفاً صغيراً ثمّ تحوّل إلى تاجر.» (طه بدر، ١٩٩٠م: ٦٦) «وكان مثقفاً ثقافة كلاسيكية متوسطة وينتمى سياسياً إلى حزب الوفد وقد أثّر انتماؤه على الكاتب وأبطال بعض رواياته لأنّ نجيب محفوظ كان متعاطفاً مع الجناح اليسارى فى حزب الوفد.» (وادى، ١٩٩٠م: ٢١٦)

لمّا بلغ نجيب محفوظ الثانية عشرة من عمره انتقلت أسرته من الجمالية إلى العباسية وكان لهذا الانتقال تأثير كبير على حياته حيث انضم إلى مجموعة من الصبية قال عنهم «كان أصدقاء العباسية مجموعة متناقضة فيها كلّ النوعيات البشرية من أسماها إلى أدناها فيهم ناس تقلدوا أكبر المناصب المحلية أطباء ومهندسين ومحاسبين ومنهم بلطجية و ... والعلاقة بيننا كانت حميدة.» (الغيطانى، ١٩٨٠م: ١٧-١٨) «النشأة فى أحياء شعبية قديمة "الجمالية والعباسية" تركت بصمات فكرية حادّة فى نفسه انعكس صداها فى كلّ ما كتب لذلک نجد معظم رواياته تدور فى أماكن بعينها، هى منطقة الجمالية فى

حيّ الأزهر ومنطقة العباسية الشرقية.» (وادى، ١٩٩٠م: ٢١٧) «دخل نجيب محفوظ السلك الوظيفى سنة (١٩٣٦م) فى سكرتارية جامعة فؤاد الأول لينتقل إلى وزارة الأوقاف عام (١٩٥٤م) وفى السنة نفسها عمل مديراً للرقابة ثمّ مديراً لمؤسسة دعم السينما فمستشاراً لوزير الثقافة لشؤون السينما حتى أحيل إلى التقاعد.» (طه بدر، ١٩٩٦م: ٦٧) «لم يعرف عن نجيب محفوظ الاشتغال بالسياسة لكنّه كان وفدياً فى اتجاهه العام. يقول نجيب محفوظ: "لم أشترك فى تنظيمات سياسية إنّما شاركت فقط فى النشاط الشعبى كالإضراب والمظاهرات كفرد من جمهور وليس كعضو فى تنظيم".» (المهنا، ١٩٩٦م: ١٩) «تزوّج نجيب محفوظ متأخراً فى عام (١٩٥٤م) عندما بلغ الثالثة والأربعين من عمره وأنجب بنتين هما أمّ كلثوم وعائشة ولم يخرج من مصر إلا مرتين فى زيارتين قصيرتين لليمن ويوغوسلافيا.» (نفسه، ١٩٩٦م: ١٧) «فى مؤتمرات أدبية تعرض لمحاولة اغتيال عام (١٩٩٤م) بطعن فى عنقه على يد شاب لاتهامه بالكفر والخروج عن الملة بسبب رواياته المثيرة للجدل لكنّه نجا من هذه المحاولة ... توفى نجيب محفوظ يوم الأحد ١٦ يوليو عام ٢٠٠٦م.» (سلماوى، ٢٠٠٧م: ٨٦و٨٥)

تعليمه وثقافته

«بدأ نجيب محفوظ تحصيله العلمى فى الكتاتيب ثمّ المرحلة الابتدائية واستطاع أن يتمّ الثانوية وعمره ١٨ عاماً. ثمّ كانت مرحلة التوجه والتخصص فكان اتجاهه أول الأمر إلى الفلسفة فدخل الجامعة المصرية سنة ١٩٣٠م.» (المهنا، ١٩٩٦م: ١٥) وقد أشار نجيب محفوظ إلى العوامل التى دفعته إلى دراسة الفلسفة قائلاً: «بعد أن بدأت أقرأ المقالات الفلسفية للعقاد واسماعيل مظهر وغيرهما وبدأت قراءاتى تتعمّق تركت فى أعماقى الأسئلة الفلسفية ... وخيّل إلى أنّنى بدراستى للفلسفة سأجد الأجوبة الصحيحة، خيل إلىّ أنّنى سأعرف سرّ الوجود ومصير الإنسان.» «تركّزت قراءات نجيب محفوظ خلال المرحلة الجامعية فى أغلبها على النواحى الفلسفية ولاقتناعه العقلى الشديد بالاتجاه الفلسفى بدأ ينشر مقالاته الفلسفية والفكرية بدءاً من أكتوبر عام (١٩٣٠م) حتى تخرج عام (١٩٣٤م) ثمّ سجّل بعد التخرج موضوعاً للماجستير مع

الشـيخ مصطفى عبدالرزاق عن التصوف فى الفلسـفة الإسلامية ثمّ إذا بموهبته الأدبية الكبيرة تسـارعه كى تحتلّ مكان الصدارة. يقول عن ذلک: بدأت أكتشـف فى نفسـى الميل إلى الكتابة الأدبية وهو ميل قديم كنت قد هجرته وحسبت أنّى شفيت وفى أعوام (١٩٣٥م –١٩٣٧م).كتبت القصص بجانب المقالات وأخذت أسـارع نفسـى فى سبيل التخصـص فى صراع أليم مرير انتهى بانتصـار الأدب فهجرت كتابة المقالات وتركت رسـالة الماجستير بعد أن قطعت فيها شـوطا لا بأس به وأيقنت أنّ قلمى لن يسير بعد ذلـک إلّا فى الأدب.» (عيـد، ١٩٩٧م: ٢٢٤) «تكوّنت ثقافة نجيب محفوظ فى قراءاته الأولى بقراءته قصة بوليسية استعارها من صديق طفولته فى المدرسة الابتدائية واطلع على الأدب العالمى من خلال كتاب يتناول تاريخ الأدب منذ عصر الإغريق حتى عام (١٩٣٠م) عنوانه "درنک ووتر" وقد أرشـده هذا الكتاب إلى قراءة عدد من المؤلّفات الأدبية المختارة لنخبة من كبار الكتاب.» (الشـيخ، ١٩٨٧م: ٢٩) «فقرأ الملاحم الهندية واليونانية ولكنّه توقّف طويلاً عند قصص الروس كما اهتمّ بالأدب الفرنسـى واسـتمرّ فى قراءاته الواسعة فى الأدبين الإنكليزى والأمريكى كما قرأ لبعض الكتاب الألمان.» (المهنا، ١٩٩٦م: ١٦–١٧) «وتأثّر فى مجال الشـعر بأشعار عدد محدود من الشعراء هم: شكسـبير وطاغور وحافظ الشـيرازى كما يقول عن تأثير الـتراث العربى عليه: من روافـد قراءاتى الهامة بعض عيون التراث العربى مثـل الكامل للمبرد والأمالى لأبى علىّ القالى وكان ذلک بفضل مدرسـى اللغة العربية المعممين.» (الشيخ، ١٩٨٧م: ٣٠–٣٤)

نتاجاته الأدبية

«يقسـم النقاد المراحـل الأدبية التى مرّ بها إنتاج نجيب محفـوظ إلى أربع مراحل، هى: أ. المرحلة التاريخية الرومانسـية: اسـتهلّ نجيب محفوظ كتاباته القصصية بالرواية التاريخيـة الحافلة بالمغامرات والحروب وقد اتجّـه فيها إلى تاريخ مصر القديمة ونتاجه المشهور فى تلک المرحلة يشمل ثلاث روايات هى: عبث الأقدار (١٩٣٩م) ورادوبيس (١٩٤٣م) وكفاح طيبـة (١٩٤٤م) وعدداً من القصص القصيرة.» (المهنا، ١٩٩٦م: ٢١)

ب. الواقعية الاجتماعية: «تشمل هذه المرحلة القاهرة الجديدة (١٩٤٥م)، خان الخليلى (١٩٤٦م)، زقاق المدق (١٩٤٧م)، السراب (١٩٤٨م)، بداية ونهاية (١٩٤٩م)، وختمها بثلاثيته المشهورة: السكرية، بين القصرين، وقصر الشوق التى نشرها من (١٩٥٦م) حتى (١٩٥٨م).» (موسى، لاتا: ٥٥) ج. الفلسفية الدرامية "الرمزية": توقّف نجيب محفوظ عن الكتابة بعد الثلاثية فترة بلغت ٧ سنوات ثمّ أصدر رواية أولاد حارتنا عام (١٩٥٩م) ومن روايات هذه المرحلة اللص والكلاب (١٩٦١م) والسمان والخريف (١٩٦٢م)، ثمّ الطريق (١٩٦٤م)، ثمّ الشحاذ (١٩٦٥م)، وثرثرة فوق النيل (١٩٦٦م)، وميرامار (١٩٦٧م). د. العودة إلى الواقعية: «أصدر نجيب محفوظ فى هذه المرحلة الروايات التالية: المرايا، الكرنک، حكايات حارتنا، قلب الليل، حضرة المحترم، ملحمة الحرافيش، عصر الحب، أفراح القبة، ليالى ألف ليلة، الباقى من الزمن ساعة، رحلةابن بطوطة، يوم قتل الزعيم، حديث الصباح والمساء، قشتمر.» (وادى، ١٩٩٦م: صص٢٢٣و٢٢٤) كما أنّ لنجيب محفوظ قصصاً قصيرة منها: همس الجنون (١٩٣٨م)، دنيا الله (١٩٦٢م)، بيت سيئ السمعة (١٩٦٥م)، خمارة القط الأسود (١٩٦٩م)، تحت المظلة (١٩٦٩م)، حكاية بلا بداية وبلا نهاية (١٩٧١م)، شهر العسل (١٩٧١م)، الجريمة (١٩٧٣م)، الحب فوق هضبة الهرم (١٩٧٩م)، رأيت فيما يرى النائم (١٩٨٢م)، التنظيم السرى (١٩٨٤م)، صباح الورد (١٩٨٧م)، الفجر الكاذب (١٩٨٨م)، أصداء السيرة الذاتية (١٩٩٥م)، القرار الأخير (١٩٩٦م)، صدى النسيان (١٩٩٩م)، فتوة العطوف (٢٠٠١م)، أحلام فترة النقاهة (٢٠٠٤م).

«كما أنّ نجيب محفوظ كتب مقالات فى عدد كبير من المجلات منها المجلة الجديدة الشهرية، ومجلة المعرفة الشهرية، ومجلة الثقافة الأسبوعية، والمجلة الجديدة الأسبوعية ومجلة الأيام.» (ياغى، ١٩٩٩م: ٩٦و١٤٢) «وأنهى مقالاته عام (١٩٤٥م) بثلاث مقالات عن التصوير الفنى فى القرآن.» (عيد، ١٩٩٧م: ٢٢٧)

الرواية وموقف نجيب محفوظ منها

«يرتبط ظهور الرواية فى أروبا بظهور الطبقة المتوسطة فيها. تعدّ الرواية فى أساسها

كنوع أدبى الشكل النموذجى الذى يمثّل المجتمع البورجوازى فهى ملحمة دنيوية سيطر عليها النثر وحطّم قوالبها. إنّ نثر الحياة هو سلطة القوى الاجتماعية المجردة كالابتذال والتحقير ومصيبة الحياة اليومية وتناقضات المجتمع البورجوازى الذى يقف فى مواجهة شعر القلب.» (جان ايو، ٢٠١١م: ٣٢١)

«إنّ الروايــة حتى وإنْ حاولنا تقديم تعريف عنها بعيداً عن القيود إلّا أنّها الشــكل الأدبى الذى يتشــابک أكثر من غيرها مع المجتمع وأفراده اذ إنّ الرواية الناجحة هى التى تدرس علاقة الفرد والمجتمع وهذا هو البعد الاجتماعى الغالب فى اكثر الروايات الناجحة.» (عســكرى، ٢٠١٠م: ٣٥) «وبعبارة موجزة فــإنّ الرواية تجربة أدبية تصوّر مجموعة من الشــخصيات بواســطة نثر الحياة وتترابط هذه الشخصيات فيما بينها لكى تخلــق إطار عالم خيالــى غير أنّ هذا العالم الخيالى يجب أن يكون مســتمداً من الحياة الواقعية بمعنى أنّ حياة شخصيات الرواية يجب أن تكون ممكنة فى عالم الواقع.» (وادى، ١٩٩٤م: ١٧) «لقد قام الأدباء بتقســيم الرواية إلى خمسة أنواع حسب مضمونها وهى: الرواية التربويــة أو التعليمية، الرواية الاجتماعية والرواية التاريخية والرواية الخاصة بالمناطق الجغرافية والرواية النفسية.» (شميسا، ١٩٩٧م: ١٥٧-١٥٨)

«أمّا نجيب محفوظ الذى تحاول هذه العجالة دراسة آثاره من منطلق اجتماعى فإنّه بدأ مسيرته الأبية بكتابة المقالات حيث كان اهتمامه منصباً على القضايا الفلسفية التى كان ينشــرها فى مجلات مثل "الجديدة" و"المعرفة" و"كوكب الشرق" و....» (بادرستانى، ٢٠١١م: ١٥٤)

«يقول نجيب محفوظ عن الرواية والفنون: إنّ الرواية شكل فنى غير أنّه الشكل الفنى الوحيد الذى يجمع بين المســرح والسينما بحيث تستطيع أن تستخرج منها أنواع الفنون فالرواية تشــبه فلماً تجد فيه الفكرة والتحليل والحــوار والإخراج والتمثيل والديكور والموسيقى والتصوير بشكل كامل.» (محفوظ، ٢٠٠٦م، أ: ٣٧)

إنّ البنية الفنية التى أسّسها نجيب محفوظ لا تعدّ مؤشراً لدراسة تطوّر الرواية العربية فحسب بل هى دليل يقود إلى دراسة التطور الاجتماعى والفكرى فى مصر الجديدة.

المنهج الاجتماعى فى سطور

«لقد كانت العلاقة المتبادلة بين المجتمع والأدب موضوعاً مثيراً لاهتمام الباحثين فى مجال العلوم الإنسانية منذ أقدم الأيام. وظهرت بواكير الدراسات المتعلقة بالمجتمع والأدب بشكل منهجى مؤطّر بأطر البحث العلمى، فى آثار مدام دواستان. حيث عالجت فيها تأثير الدين والتقاليد والعادات الاجتماعية والقوانين البشرية على الأدب كما درست تأثير الأدب على المجتمع والثقافة. غير أنّ من عرف بمؤسّس علم الاجتماع الأدبى هوايبوليت تين الذى ظهر بعدها. إنّ تأكيد تين على ثلاثية العنصر والبيئة والزمان ودورها فى عملية الخلق الأدبى قد أضفى على دراساته بعداً مادياً لا ينسجم مع الأدب كثيراً.» (عسكرى، ٢٠١٠م: ٧٣)

«غير أنّ علم الاجتماع الأدبى قد تطوّر واستقلّ كفرع علمى جامعى أكاديمى فى القرن العشرين. إنّ فكرة علم الاجتماع الأدبى تستخدم فى اتجاهين مهمّين هما أولاً النظرة القائلة بأنّ عملية الإبداع الأدبى عملية اقتصادية ربحية لمّا أركانها الثلاثة الانتاج والتوزيع والاستهلاك. ويمكن الإشارة إلى روبراسكاربيت الذى يتبنى هذه النظرية حيث يعالج الظواهر الأدبية من منطلق اقتصادى بحت.» (المصدر نفسه: ٦٢)

«غير أنّ جورج لوكاتش يعد بحق مؤسّس علم الاجتماع الأدبى أو بالأخرى علم الاجتماع عبر الأدب. لقد درس لوكاتش العلاقة القائمة بين المجتمع والرواية وتأثير المعتقدات الفكرية عند الكاتب على مواضيع الآثار الأدبية وأفكارها.» (المصدر نفسه: ٧٠)

«وتلاه لوسيان غولدمان الذى تفرغ لدراسة أفكار لوكاتش ووضع لها مناهج علمية. ففى رأى غولدمان فإنّ الأثر الأدبى ليس إبداعاً فردياً بل هو تمثيل أو تجسيد لأفكار الفئات الاجتماعية التى تحاول عرض أفكارها. وإنّ الأديب أو المبدع إنّما يقوم بإضفاء جانب فنى إبداعى على أفكار الفئة الاجتماعية التى ينتمى إليها.» (المصدر نفسه: ٧٣)

«يدرس علم الاجتماع الأدبى موضوع الشكل وعلاقته ببنيّة المجتمع غير أنّ هناك علم اجتماع المضامين الذى هو من فروع علم الاجتماع الأدبى حيث يدرس الباحث من خلاله المضامين والمحتويات الساسية والاجتماعية والثقافية فيه. كما أنّه يمكّن

الباحث من الوصول إلى العلاقة القائمة بين النص الأدبى والاتجّاهات الفكرية الخاصة بالطبقات الاجتماعية التى تنتشر فى المجتمع. يدرس هنرى الاماسنكى الآثار الأدبية من خلال علم اجتماع المضامين حيث يعتقد أنّ تصنيف مضامين الآثار الأدبية وترتيبها يوفّران المواد الأساسية اللّازمة لدراسات علم الاجتماع الأدبى.» (المصدر نفسه: ٦٩)

الفقر والمرأة والفساد فى "القاهرة الجديدة" (١٩٤٥م)

«لقد رسم نجيب محفوظ فى هذه الرواية صورة قاتمة عن الواقع السياسى المشوب بالفساد والفوضى فى مصر. ففى البداية جعل الجامعة مسرحاً لتعبير آراء الشباب البورجوازيين الجامعيين حول المرأة وعن رغباتهم النفسية والروحية. لقد حاول نجيب محفوظ فى هذه الرواية طرح القضايا الاجتماعية ورسم صورة واضحة عن البنية الفكرية للشباب فى تلك الفترة التاريخية حيث تدلّ شخصية محجوب عبدالدايم على البعد الاجتماعى للقضايا كما أنّ شخصية مأمون رضوان تدلّ على الإتّجاه اليمينى وتدلّ شخصية على طه على الاتّجاه اليسارى وترمز شخصية احمد بدير إلى جماعة من الشباب اللامنتمين إلى أىّ اتجّاه ولا يهتمون بعرض فكرة واضحة تجاه ما يجرى. حيث نرى شخصية احمد بدير غارقة فى خضم الحياة العلمية وتحاول تجنب الخوض فى القضايا المتعلقة بالمشاكل الحزبية والسياسية رغم انشغاله بالعمل الصحفى حيث استغل هذه الفرصة لخلق علاقة مع الطبقات الراقية فى المجتمع التى تنشر الفساد وتسبب سقوط الأشخاص وانحرافهم كما حدث ذلك لمحجوب عبدالدايم.» (محمد سعيد، ١٩٩٩م: ٤١)

«وتتجلّى شخصية الأب المريض كرمز لجميع الأسر التى فقدت معيلها فى ظل غياب العدالة الاجتماعية. يحاول محجوب نيل وظيفة بشتى السبل التى فرضتها عليه ظروف المجتمع الفاسدة ولكنّ دون جدوى. إنّ عرض قاسم بيک سكرتير مكتب الوزير القاضى بدفع نصف راتبه الشهرى له أو اقتراح الاخشيدى الذى قال له: لا أنت فتى صغير السن أمرد ولا أمّک امرأة جميلة ذات دلال، فما الذى أنا قادر على فعله كل ذلک دليل على الفساد المستشرى فى المجتمع. ونجد بعد ذلک فى القصة أنّ محجوب

عبدالدايم يبيح لنفسه القيام بأيّ عمل لأجل التخلص من الفقر والحرمان بما فى ذلک الدخول فى حالة الفساد وعدم الاكتراث بأيّ مبدأ فى الحياة. يحاول نجيب محفوظ فى روايته الاجتماعية الأولى أن يحوّل الجامعة إلى مركز لتبادل الأفكار بين الشباب البورجوازيين وطرح القضايا المختلفة فيها على أمل أن تتمكن الجامعة من تغيير المجتمع باتجّاهها العلمى والأكاديمى. إنّ شخصية مأمون رضوان التى ترمز إلى التيار الفكرى اليمينى المتمثل فى الإخوان المسلمين والذى يرى أنّ لديه حلّاً لجميع المشاكل وهو حل نابع من الإسلام الذى يراه حلاً لمشكلة العدالة الاجتماعية المفقودة. أمّا شخصية على طه فهى رمز للتيار الفكرى الاشتراكى الذى يستنكر الفساد الاجتماعى ويهتمّ بالطبقات الاجتماعية الفقيرة فى المجتمع غير أنّ نظريته لا تتحقّق فى الواقع فهو يرى الفقر المدقع فى حياة احسان شحاته ولا يدرى كيف عليه أن يواجهه ولكنّه يصرخ دائماً: إنّ الفقر فى الإنسان الفاسد يؤدّى إلى القضاء على العلم والصحة والأخلاق.» (محفوظ، ١٩٧٤م: ٤٦) إنّ نجيب محفوظ يشير إلى قضايا أخرى فى هذا الأثر حيث يقدّم أسلوباً لجلب الربح عبر شخصية على طه فهو قد أسّس مجلة على أساس القيم الرأسمالية غير أنّها تتحوّل إلى منصة لنشر الأفكار الاشتراكية. وهناک شخصية أخرى تدعى قاسم بيک الذى فُصل عن عمله وكان منعزلاً فى الحياة ولكنّه يعود مرة أخرى إلى الحياة الاجتماعية ممّا يعنى استمرارية الفساد فى المجتمع حيث نرى بديراً يقول: ربّما تخرجه المظاهرات القومية إلى الساحة مرة أخرى غدا وسنراه يجلس على كرسى الوزارة وسوف يبدأ أسلوبه القديم أو يبدأ بأسلوب جديد وسمن عاش سيرى منه ذلک.

السياسة والتضاد بين المجتمعين القديم والجديد فى "زقاق المدق" (١٩٤٧م)

يتناول نجيب محفوظ فى رواية زقاق المدق تداعيات الحرب ونتائجها على الإنسان حيث يتحدث عن امراة تدعى سنية العفيفى التى كانت قد انفصلت عن زوجها وبعد سنوات من الانفصال عاودت نفسها أحلام الحياة الزوجية بعد مشاهدة أحداث الحرب والشعور بالحاجة إلى الأمان فى ظلّ أسرة وحياة هادئة. وتزوّجت سنية بعد فترة مع شاب كان يبلغ ثلاثين عاماً من العمر لكونه شاباً يافعاً والشاب قد اختارها للتخلص

من مشاكله الاقتصادية. ويتحدث نجيب محفوظ فى هذه الرواية عن الأزمة الاقتصادية الناجمة عن الحرب. فهناك شخصية الدكتور بوشى الذى كان طبيباً تجريبياً للأسنان حيث كان يقوم بسرقة طلاء الذهب الموجود على أسنان الموتى فى المقبرة وألقت الشرطة القبض عليه فى نهاية المطاف. إنّ الرواية تنقل إلينا موضوع انتشار الفقر وأوضاع المجتمع المليئة بالفوضى. يقوم نجيب محفوظ بعد ذلک بتصوير معلّم سيئ السمعة يدعى كرشة يدخل فى الألاعيب السياسية ومن ثمّ فى عالم التجارة لبلوغ مصالحه المادية.

يقول كرشة فى معرض تبريره الخروج من عالم السياسة: «لو كان هدف المتنافسين السياسيين المال والثروة فلاشكّ فى أنّ الناخبين المساكين لا يفكّرون أيضاً إلّا فى المال والثروة.» (محفوظ، ١٩٥٥م: ١٤٧) إنّ انحراف كرشه عن المبادئ الوطنية بعد صموده فى ثورة (١٩١٩م) دليل على استشراء الفساد بسبب الضغوط الاقتصادية.

«ويعترف القارئ بعد ذلک على عباس الحلو وحميدة اللذين يريدان الزواج حيث نراه يخرج من الحارة بهدف توفير المال اللازم للزواج ولكنّه يعود إليها ويدرک أنّ حميدة قد غادرت الحارة. وأخيراً يستطيع أن يجدها لكنّه يعرف أنّها انحرفت عن جادة الصواب وغرقت فى الفساد وتبوء محاولاته لإخراجها من تلک الحالة بالفشل وأخيراً يقتله جندى بريطانى. إنّ محاولات عباس للتصدى لسياسات خرج ابراهيم الفاسدة والذى يستغل بنات المدرسة ويسوقهن للفساد تفشل بالكامل. إنّ شعور حميدة بالجمال والخوف من زواله بسبب الزواج والأمومة والحياة الاعتيادية هو الذى دفعها نحو الاتّجاه إلى طريق أدّت بها إلى الفساد ولم يتمكّن عباس الحلو رغم ما كان يتصف به من الإخلاص فى حبه لها أن ينفذ إلى قلبها إذ إنّ قلبها كان مفعما بحب المال والشهرة.» (محمد سعيد، ١٩٩٩م: ١٢١) «إنّ التمتع بالحياة فى الحارة كان كالسياسة المصرية حيث لم تكن تأتى من داخل مصر كما أنّ كرهها لعباس كان يشبه إلى حدّ كبير امتناع السياسة فى مصر من إشراک الناس فى تقرير مصيرهم إذ إنّ الساسة كانوا لا ينتمون إلى مصر فى دواخلهم. إنّ تزامن الانتخابات وما كان يقوم به المرشح إبراهيم حسان لخداع أهل الزقاق مع محاولات فرج إبراهيم لخداع حميدة يشبه إلى حدّ كبير كان

يقوم به السياسيون لتقديم البلاد للانجليز كما كان فرج إبراهيم يحاول سوق حميدة إلى الفساد.» (المصدر نفسه: ١٢٥)

«إنّ الكاتب ينقل فكرتين مختلفتين عن المجتمع التقليدى والجديد فى هذه الرواية والتى هى نابعة من الصراع القائم بين المجتمعين وبين التقليد والحداثة. إذ إنّ الإبداع الفنى لا يعنى فرداً بعينه وإنّما هو تعبير عن نوع من الوعى الجماعى الذى يسهم الفنان بقوة أكبر من خلقه.» (عسكرى، ٢٠١١م: ٥٠) إنّ عينات النساء اللاتى وردت أسماؤهن فى الرواية لسن إلّا نماذج من المرأة المضطهدة تحت الضغط الاجتماعى وهى غير قادرة على أىّ تصرف معقول تجاه ما يجرى حولها وذلک بسبب ضعف التربية والتعليم والوعى والثقافة وما تركته الحرب من آثار سيئة على الإنسان المصرى فى ذلک الزمن كما أنّ الفقر حيّرهم بين الحفاظ على الأصالة الشرقية أو اللجوء إلى الفكر الغربى أو الضياع بينهما.

"روايات بداية ونهاية (١٩٤٩م) والثلاثية (١٩٥٦م)" وموضوع النفاق والفارق الطبقى وموضوع دور الأم والحياة الجديدة فيها

تبدأ أحداث رواية بداية ونهاية بوفاة الوالد لتتضح آثار وفاته على الأسرة داخل ذلک المجتمع أكثر فأكثر. إنّ حياة الطبقة المتوسطة فى مصر كانت مبنية على عنصرين أساسيين هما أولاً دعم الأب وثانياً ضمان الدراسة الجامعية.

«إنّ العنصر الأول يساعد على تحقيق العنصر الثانى لذا فإنّ نجيب محفوظ عالج هذا الأمر فى ثلاث روايات متتالية ورغم وجهات النظر المختلفة التى يتمّ عرض هذه الروايات من خلالها إلّا أنّها جميعا تنبع من أساس واحد.» (محمد سعيد، ١٩٩٩م: ٨٣) «فالقصة تدور حول أسرة محدودة الدخل مكوّنة من خمسة أشخاص أمّا شخوص القصة فهى أبناء الأسرة الذى تدور القصة حولهم يبذل حسن وهو الأخ الأكبر الذى يشتهر بالقوة والمروءة جميع جهوده لمساعدة أخويه حسين وحنين للحصول على وظيفة حكومية والعمل كضابطين فى الشرطة. فهو يعمل فى تجارة المخدرات بمساعدة امرأة سيئة السمعة. أمّا نفيسه وهى شقيقة حسن فتنزلق فى طريق الفساد لأجل مساعدة شقيقها حسنين لبلوغ حلمه فهى كانت تحبّه كثيراً وكانت تبرر عملها بأنّه نوع من

التضحية للأسرة ولكنّ عندما اكتشف شقيقها هذا الأمر أقدمت على الاستحار وذكرت أنّ ما ستواجهه فى الحياة إذا بقيت قيد الحياة سيكون أمرّ من الموت.» (محفوظ، ١٩٧٣م: ٣٢٧)

«أمّا حسنين فيقطع علاقته بجارته بهية بعد أن أصبح ضابطاً بحجة فقر بهية وأنّه إذا ما توفى قبل نهاية عمله فإنّ أبناؤه سيعيشون فقراء كما هو الحال بالنسبة لوالده.» (المصدر نفسه: ٣٢٥) «كما أنّه يطالب أخاه الأكبر الذى دفع جميع نفقاته أن يكف عن عمله لأنّ عمله سيضرّ بسمعته كضابط غير أنّ إلقاء القبض على نفيسه ومطاردة الشرطة لحسن ورفض ابنة احمد بيک طلبه للزواج معها يبدد آماله للدخول فى طبقة اجتماعية جديدة ويسأل نفسه هل إنّه قادر على مواصلة الحياة تحت عبء هذه الآلام كلها فيجيب كلا. إنّه غير قادر على ذلک.» (المصدر نفسه: ٣٨١)

«أمّا حسنين فيمثل جانب العقل والمنطق فى الأسرة فهو ينظر بنظرة واقعية إلى الأمور إذ هو واثق بأنّ هناک ملايين من الناس يعيشون فى حالة مماثلة لحال أسرته حيث يعانون الفقر وتبعاته. إنّ الثلاثية تمثّل نقطة الذروة لإحدى مراحل الكتابة الروائية عند نجيب محفوظ حيث تمثّل المرحلة الاجتماعية بكلّ مواصفاتها كما أنّها تحمل بذور المرحلة الثالثة من الرواية عند نجيب محفوظ فهى نهاية مرحلة وبداية مرحلة جديدة. فالثلاثية تصوير للبورجوازية المتوسطة التى طالما اهتمّ بها الكاتب فى آثاره لقد أعطى نجيب محفوظ عبر الثلاثية صورة حيّة ومتكاملة عن القيم والاتّجاهات الموجودة داخل هذه الطبقة محاولاً عدم الفصل بين هذه الأسرة وبين الحركة الاجتماعية ليظهر التأثير المتبادل بينهما.» (محمد سعيد، ١٩٩٩م: ١٣٤) «ففى المرحلة الاجتماعية نجده مهتما بإظهار شخصية الأم كشخصيته مفعمة بالحنان والحب والتضحية والتفانى.» (المصدر نفسه: ١٤٩) «وذلک من خلال روايات مثل "ثمن الضعف" و"كفاح طيبة" و"خان الخليلى" إنّ نجيب محفوظ يشير فى رواية قصر الشوق إلى قصر الشدّاد الذى يرمز للثقافة والحضارة والفلسفة والعلم والسياسة والجمال بينما ترمز رواية بين القصرين إلى التخلّف أمّا السكرية فهى استمرار القصة تحت تأثير ثورة اكتوبر (١٩١٩م) وانتشار الفكر الشيوعى فى المجتمع المصرى معالجاً شخصيتى عبدالمنعم واحمد شوكت ابنى

خديجه. فهو من خلالهما يحاول بلورة تيارين فكريين فالتيار الأول ينتمى إلى الإخوان المسلمين أمّا التيار الثانى فينتمى إلى الشيوعيين.» (المصدر نفسه: ١٥٩) «يقول نجيب محفوظ عن الثلاثية: تروى بين القصرين تطوّر المجتمع استيقاظه من نوم الغفلة لبداية الثورة وفى قصر الشوق نجد دور العوامل الطبقية التى أدّت إلى إفساد الثورة. أمّا السكرية فهى مناداة للتغيير فى مسار الثورات وتطورها بدخول عنصر الشباب فيها بأفكارهم الجديدة.» (فرج، ١٩٨٦م: ١٩)

رواية "اولاد حارتنا" والعلم والتقنية ومواجهة المدرستين الرأسمالية والاشتراكية فيها

«لقد دخل نجيب محفوظ مرحلة جديدة من عالمه الروائى بكتابة هذه الرواية فبعد أن اجتاز المرحلتين التاريخية والواقعية دخل فى الجانب النفسى من المجتمع. فبعد أن اعتزل كتابة الرواية لمدّة سبع سنوات كان قد أدرك أنّه لابدّ من تقديم الحلول للناس للخروج من مشاكلهم التى تحيط بهم. إذ إنّ أىّ أديب يرغب فى أن يترك بصماته على المجتمع الذى يعيش فيه فهذا اعزاؤه الوحيد فى الحياة. فهو كان يعلم أنّه إذا كان التأثير الذى سيتركه خفياً غير مباشر فإنّ نتائجه ستكون أعمق بكثير.» (شريعتى، ٢٠١٠م: ٥٠) «فقد تأثّر فى هذه الرواية من المدارس الرمزية والواقعية والرومانسية مركّزاً على ثلاثة محاور هى الدين والسياسة والجنس. لقد كان الرجل متأثراً أثناء دراساته بشخصيتين هما الشيخ مصطفى عبدالرزاق والأستاذ سلامه موسى الصحفى والمفكر المصرى. فهو يعتبر نفسه مدينا فى أفكاره الاجتماعية لأستاذه سلامة موسى قائلا: لقد ترك تأثيراً كبيراً على أفكارى وجعلنى فى مواجهة موضوعين لم أغفل عنهما لحظة وهما العلم والاشتراكية.» (فرج، ١٩٨٦م: ١٧)

«ورغم تعرضه لهجمات المتطرفين المسلمين الإعلامية وتكفيرهم له غير أنّه تابع السير فى طريقه نحو إحياء المجتمع الذى كان يعانى حالة من الركود وإظهار تناقضات المجتمع والفوارق الطبقية والتجاذبات بين العقيدة والمال والوصول إلى مبدأ للعودة إلى الكرامة الإنسانية فهو بالإضافة إلى ذكر جميع مشاكل المجتمع المعاصر فى رواياته

كالصراع بين الفقير والغنى وفساد المجتمع يرى أنّ المواجهة بين المدرستين الرأسمالية والاشتراكية هى أهمّ قضية فى عالم اليوم.» (فرج، ١٩٨٦م: ٨٨) «ويؤكّد أنّ الأنظمة المبنية على الديموقراطية والرأسمالية مدينة فى كثير ممّا لديها للمدرسة الاشتراكية وبالمقابل فإنّ العالم الاشتراكى يتّجه نحو حريّة الفكر والديموقراطية.» (المصدر نفسه: ٨٨) «ورغم تأثير انتماء والده إلى حزب الوفد اليسارى على شخصيته ورواياته وأكّد إيمانه فى ثورة (١٩٥٢م) بمبادئ هذا الحزب السياسية والاجتماعية غير أنّه اعتزل السياسة بعد حين وتظهر آثار هذا الاعتزال فى الآثار التى تركها بعد العام (١٩٦٧م).» (وادى، ١٩٩٦م: ٢١٦)

استعراض لأحداث رواية أولاد حارتنا

«لقد عالج الكاتب فى هذه الرواية ستّ شخصيات أصليّة هى الجبلاوى وأدهم وجبل ورفاعه وقاسم وعرفه. وقسّم الرواية إلى ١١٤ جزءاً. يبدأ الجزء الأول منها بشخصية جبّارة عظيمة الخلق فهى تمتلك الأوقاف كلّها وتدعى الجبلاوى يعيش الجبلاوى فى البيت الكبير الذى يتكون من ثلاثة أدوار وفيه قسم خاص بالحريم. إنّ للجبلاوى زوجات وأولاداً كثيرين غير أنّ أشهر أولاده هم إدريس وعباس ورضوان وجليل وأدهم وقد تزوّج الأخير خادمة إسمها أميمة. لقد قرّر الأب أن يختار مندوباً ينوبه فى إدارة الوقف لجمع الضرائب وكان الجميع يتوقعون دون أدنى شكّ أنّ إدريس هو المرشح الطبيعى لهذا المنصب غير أنّ الجبلاوى اختار أدهم على خلاف جميع التوقعات وذلك لمّا كان يمتاز به من معرفته بالحساب والعلم والأمانة ممّا سبب اعتراض إدريس على والده وطرده فى نهاية المطاف من البيت الكبير ثمّ نجده يندس بين الناس ليصل إلى أدهم ويغربه بالنظر إلى الصندوق الذى يحتوى على أسرار العائلة فى البيت الكبير ممّا يؤدّى إلى طرد أدهم وأميمة من البيت إذ إنّ أميمة كانت تساعده على ذلك وتشجعه. غير أنّ حبّ أدهم لأبيه دفعه إلى بناء كوخ بالقرب من البيت الكبير وأنجب ولدين هما همام وقدرى، كان همام يشبه والده غير أنّ قدرى كان يشبه عمه إدريس. ومن ثمّ نجد أنّ قدرى قتل همّاماً ويشير همّام فى النهاية إلى أنّ أبناء قدرى وهند "ابنة

إدريس" هم الذين انتشروا فى الحارة ويتسببون دوماً فى النزاع فيها وهذا إشارة واضحة إلى أنّ الجميع يعودون فى جذورهم إلى إدريس.» (محفوظ، ٢٠٠٦، ب: ١١٩) إلّا أنّ الجبلاوى يقول لأدهم الذى بلغ الشيخوخة إنّه راض عنه وسيترک إدارة الوقف لأبنائه. ثمّ تبدأ قصة جبل الدين كانوا تحت ضغوط الناظر. ثمّ يسّرد نجيب محفوظ قصة قتل جبل لأحد أصحاب الناظر وفراره وتعرفه على البلقيطى وزواجه من ابنته ولقائه بعد ذلک بالجبلاوى فى الطلام ومن ثمّ يقود ثورة يقضى بها على الناظر وأصحابه.

أمّا قصة رفاعة فهى تتحدث عن ثورة سلمية. وكان رفاعه شاباً وسيماً يكره العنف ثمّ خانته زوجته ياسمين وقتله الفتوات فى النهاية حيث يشير الكاتب فى النهاية إلى الشكوک التى أحاطت بمقتله وإلى ما قيل عن أنّ الجبلاوى أخذه إلى البيت الكبير.

أمّا الشخصية الرابعة فهى شخصية قاسم الذى ولد فى حىّ الجرابيع فى ظروف اقتصادية سيئة ويسمع جنب البيت الكبير صوت خادم الجبلاوى الذى يطالبه بالدفاع عن الناس واسترداد حقوقهم ويعلن قاسم دعوته بمساعدة زوجته السيدة قمر التى كانت امرأة غنية ذات جاه. ثمّ يأتى دور عرفه الذى ليس له نسب معروف وكان يرافقه حنش صديقه ويحاول عرفة قراءة وثيقة الجبلاوى المعروفة ويلتقيه فى الظلام ويقتله ثمّ يهرب بعد ذلک ويسمع بعد هروبه بخبر وفاة الجبلاوى غير أنّ سيّدة من البيت الكبير تخبره بأنّ الجبلاوى توفّى بسبب آخر وكان راضياً عنه.

ممّا يشجع عرفه فى طريقه ويكتب أسراره فى كراسة ويسلّمها إلى صديقه حنش وقد ألقى القبض أخيراً على عرفة وتمكن حنش من الهروب وتبعه الشباب لكى يسيروا معه فى طريق الإصلاح عبر سلاح عرفه المسجل فى الكراسة.

نظرة تحليلية إلى رواية "أولاد حارتنا"

«إنّ حارتنا أصل مصر أم الدنيا.» (محفوظ، ٢٠٠٦م، ب: ٧)

«تدلّ هذه العبارة بوضوح على أنّ نجيب محفوظ قد استمدّ أحداث رواياته وشخصياتها من مجتمع كان يلهمه كتابة الرواية ولم يتوان نجيب محفوظ عن تبيين مشاكله وقضاياه فى آثاره. كان الرجل يدخل عصر كل يوم فى ساعة محددة إلى قهوة فى

ميــدان التحرير ليختار أبطال رواياته لذلک فإنّ القاهــرة صورة كبرى عن الحياة فى البــلاد العربية.» (فرج، ١٩٨٦م: ١٩) «لقد اختار نجيب محفوظ فى رواية أولاد حارتنا منطقة واقعة بين الأزهر والقلعة كمسرح لأحداث الرواية فهى حارة قديمة اعتاد نجيب محفوظ أن يســتمر منها موضوع روايته.» (محمد ســعيد، ١٩٩٩م: ١٩٣) لذا فإنّ الحارة رمز للتعبير عن حقائق المجتمع فى إطار شــخصياته القصصية ولكنّ السؤال هو ما هى مضامين رواياته التى لم يتحمّلها المجتمع فوقف أمامها مســتنكراً. إنّ هذه المضامين هى التــى تعكس مدى العلاقة القائمة بين التطورات السياســية والاجتماعية والثقافية فى المجتمع وبين النص الأدبى الذى يعالج هذه التطورات.

إنّ قارئ رواية أولاد حارتنا يجد نفســه أمام مجموعة من القضايا المتشــابكة فيها ولعــلّ أبرزها قضيــة الجبلاوى منذ بداية الرواية وحتى نهايتها وهناک مشــكلة كبرى تظهــر فى الجزء الأخير مــن الرواية وهى شــخصية عرفة الغامضة. لقــد بدأ الكاتب حديثــه بالجبلاوى ودخل فى وصف أبعاد هذه الشــخصية المتمثلة فى المظهر الخارجى فهى شــخصية تهابها الكائنات، ضخمة الجثــة، عظيمة. كما تحدّث الكاتب عن البعدين الاجتماعى والداخلى لهذه الشــخصية حيث تتحدّد مكانتهــا ببيتها الكبير وانطوائيتها التى تلازمها دوماً. وفيما يتعلّق ببقية الشــخصيات فهناک شــخصية أدهم فهى شخصية تتّصف بالخضوع المستمر للجبلاوى إلّا أنّ هذا الخضوع يشوبه شيء من عدم الإخلاص إذ إنّ أدهــم يخضع فى الوقت نفســه لكلام إدريس المطرود وكذلــک لكلام زوجته ممّا يــؤدّى فى نهاية المطاف إلى طرده هو الآخر من البيت الكبير وتســتمر معاناة أولاده فيما بعد كمســار طبيعى لمن خالفوا الجبلاوى حســب ما يبدو من أحداث القصة .كما أنّ شــخصية جبل وهى الشــخصية الثالثة المهمة فى الرواية تبدو غامضة إلى حدّ كبير فكان جبل بعد مجموعة من الأحداث المعقدة يحاول إصلاح أمور آل حمدان وإخراجهم مــن الحالة المزرية التــى وصلوا إليها غير أنّ طريقته فى هــذه المواجهة اعتماد العنف واستخدام الأدوات التى أدّت إلى هزيمة أعدائه. الشخصية الرابعة المهمة التى نواجهها فى الرواية هى شخصية رفاعة فهى شخصية هادئة تصطنع الطرق السلمية الهادئة لتنفيذ مــا تريده مــن الإصلاحات ورغم النجاحات التى أحرزهــا رفاعة غير أنّ إصلاحاته

انتهت إلى مايشبه الفشل. أمّا الشخصية الخامسة فهى شخصية قاسم لقد اعتمد قاسم الطرق السابقة التى استخدمها ادهم وجبل ورفاعة جميعاً ونجح إلى حدّ كبير فى تغيير أوضاع الحارة غير أنّ الأمور عادت إلى ما كانت عليه بعد وفاته. إنّ نظرة منا على شخصيات الرواية تدلّنا بكلّ وضوح على أنّ المادة الأساسية للرواية هى مادة مستلهمة من التراث الدينى فشخصية أدهم تمثّل شخصية النبى آدم (ع)كما أنّ جبل يرمز إلى موسى (ع) وكذلک فإنّ رفاعة هو عيسى النبى (ع) كما أنّ قاسم يرمز إلى نبى الإسلام محمد (ص). إنّ الشخصية الأخيرة فى الرواية هى شخصية عرفة التى ترمز إلى العلم والمعرفة. إنّ عرفة ليس له أب ولا أم كما أنّه يقدم للناس ما يجعلهم يتحسّرون على الأيام الماضية التى عاشوها بدونه. كما نسب إليه البعض أنّه تسبب فى وفاة الجبلاوى رغم أنّ الأخبار التى وصلته كانت تطمئنه أنّ الجبلاوى مات وهو راض عنه. لقد فسّر البعض هذه الرواية تفسيراً دينياً مشيرين إلى أنّ نجيب محفوظ كان يريد أن يعلن نهاية الدين فى مصر وفى العالم بعد ظهور العلم فهذا الأمر ليس غريباً كما أنّ هذا الزعم لم يكن جديداً حتى أيام صدور الرواية فقد كان أتباع الأفكار الماديّة يعتبرون أنّ التجربة هى الأساس وأنّ العلوم التجريبية قد حلت محل الدين وغيرها من المعتقدات الغيبية وبذلک يكون نجيب محفوظ قد أعلن فى روايته هذه فشل دعوة الأنبياء (عليهم السلام) وانتهاء أمر الأديان فى العالم وانتصار العلم التجريبى ونجاحه فى استقطاب الناس وجذبهم إليه. ممّا جعل نجيب محفوظ عرضة لكثير من النقد اللاذع من قبل التيارات والشخصيات الدينية حيث صدرت كتب عديدة ومقالات فى التنديد بالرواية وبكاتبها .كما حاولت الجماعات المتطرفة اغتيال نجيب محفوظ فى تسعينيات القرن الماضى.

أمّا التفسير الثانى للرواية فهى أنّها كانت إشارة إلى الثورات المتتالية فى مصر وثورات بعينها فى حقب زمينة معينة وبخاصة ثورة يوليو (١٩٥٢م) والملفت للنظر أنّ نجيب محفوظ كان يرى أنّ هذه الثورات جميعها واجهت الفشل رغم ما كان يحمل أصحابها من مبادىء وما يتصفون بها من إخلاص فما المشكلة فى هذه الثورات ولماذا لم تستمر هذه الثورات فى إنجاز أهدافها ومراميها. إنّ نجيب محفوظ يذكر فى نهاية قصة كل شخصية أنّ "آفة حارتنا النسيان" حيث يردّد هذه العبارة فى أغلب هذه القصص

الواردة فى الرواية ممّا يجعلنا ننتبه إلى مشكلة كبيرة وهى أنّ الثورات لا تستطيع تحقيق أهدافها إلّا بشروط وأولها إعداد المخاطبين وإعداد الناس لأهداف الثورة وثانيها تشجيع الناس وتوفير مصالحهم بشكل يجعلهم متمسكين بتلك المبادىء فعرفة قد قدم للناس ما جعلهم يتحسّرون على أيامهم الماضية وبذلك أصبحوا متعلقين بعرفة ومبادئه. كما أنّه لابدّ من تزويد الناس بما هو أهمّ وهو الوعى فعرفة يمثل الوعى والفهم والعلم فإذا تزود الناس بالوعى والفهم الصحيح فإنّ تحقيق أهداف الثورات وديمومتها أمر ممكن وإلّا فإنّ الفشل هو مصير أيّة ثورة. لقد حدثت فى مصر ثورات عديدة منذ القرن التاسع عشر وحتى اليوم وآخرها هى ثورة الخامس والعشرين من فبراير التى أطاحت بنظام حسنى مبارک غير أنّ مسار الأحداث فى هذه الثورة يؤكّد أنّ ماذهب إليه نجيب محفوظ من أنّ الثورات ستواجه الفشل إذا لم يتمّ إعداد الناس لها وتزويدهم بالعلم وتوفير مصالحهم الماديّة كان دقيقاً إلى أبعد الحدود فقد واجهت هذه الثورة الأخيرة ظروفاً صعبة جعلت مصر فى الطريق إلى النفق المظلم الذى لا تعرف نهاياته وهذا ما يؤكّد أهميّة هذه الرواية واستنادها إلى الواقع واستمداد الكاتب أفكاره من واقع الحياة وامتزاجه بتفاصيل الحياة المصرية وقدرته الفائقة على تصويرها من خلال رواياته الرائعة. يقول نجيب محفوظ عن هذه الرواية: أنا لا اكتب إلّا إذا حدث انفصام بينى وبين المجتمع، أى إذا حدث عندى نوع من القلق وعدم الرضا. بدأت أشعر أنّ الثورة التى أعطتنى الهدوء والراحة قد بدأت تنحرف و تظهر عيوبها بدأت تناقضات كثيرة تهزّ النفس، بدأت أشعر أنّ هناک عيوباً وأخطاء كثيرة تهز نفسى وخاصة من خلال عمليات الإرهاب والتعذيب والسجن. ومن هنا بدأت كتابة روايتى الكبيرة "أولاد حارتنا" والتى تصوّر الصراع بين الانبياء والفتوات .... كنت أسأل رجال الثورة هل تريدون السير فى طريق الأنبياء أمْ الفتوات ؟ فقصة الأنبياء هى الإطار الفنى ولكنّ القصد هو نقد الثورة والنظام الذى كان قائماً فقد رأيت طبقة جديدة تنمو وتثرى بصورة غير عادية وكان السؤال الذى يحيرنى هل نحن نسير نحو الاشتراكية أم نحو إقطاع من نوع جديد . ولهذا كانت أولاد حارتنا هى وجدان المؤلف إزاء قضية الحرية المهدورة وهى تعبير عن ألمه العميق لقضية الانتكاس الذى يلحق بأعظم القيم والمبادئ التى

تحقّق الحياة الإنسانية الكاملة للبشر. وهى أخيراً تعبير عن شفقته العميقة على الجموع المطحونة تحت قبضة الطبقة التى تحكم بالسوط والإرهاب.

النتيجة

يتبيّن ممّا ذكر أنّ نجيب محفوظ كان بحق قلب مجتمعه النابض حيث رأينا أنّ رواياته تناولت القضايا الاجتماعية بكلّ دقّة فى التفاصيل بصبغة أدبية فخمة وبلغة فاخرة وقد تبيّن أنّ أهمّ المشاكل الاجتماعية التركيز عليها نجيب محفوظ هى قضايا الفقر والمرأة إصلاح المجتمع ليس بالثورة وتغيير أنظمة الحكم الجائرة وإنّما يتمّ ذلک عبر آليات أخرى من أهمّها توعية الناس وتثقيفهم بسلاح العلم حيث ظهر ذلک جلياً فى رواية أولاد حارتنا وقد نجح نجيب محفوظ فى ذلک نجاحاً كبيراً وثبت من خلال هذه الدراسة أنّ غالبية آثار نجيب محفوظ تناولت القضايا الاجتماعية فى مصر واللافت أنّ روايات نجيب محفوظ تؤكّد أهميّة الأدب ودوره فى توجيه المجتمع بل فى قراءة مستقبله وتوعية الناس باتّجاه الحقيقة والخير والقيم الإنسانية النبيلة.

المصادر والمراجع

اردوبادى، احمد صبور. (١٩٩٤م). عقل و علم در فرهنگ اسلامى. الطبعة الأولى. طهران: انتشارات هدى.

امامى، نصرالله. (٢٠٠٦م). مبانى و روشهاى نقد ادبى. الطبعة الخامسة. طهران: ديبا.

بادرستانى، محبوبه. (٢٠١١م). ترجمه و بررسى و نقد رمان دزد و سگ. الطبعة الأولى. طهران: علم و دانش.

تاديه، ژان – ايو. (٢٠١١م). درآمدى بر جامعهشناسى ادبيات «و بنيانگذاران آن گلدمن، لوكاچ، هگل و...». ترجمه محمد جعفر پوينده. الطبعة الثانية. طهران: جهان مهر.

زرينكوب، عبدالحسين. (٢٠٠٩م). آشنايى با نقد ادبى. الطبعة الثامنة. طهران: انتشارات سخن.

سلماوى، محمد. (٢٠٠٧م). نجيب محفوظ المحطة الأخيرة. الطبعة الثانية. القاهرة: دار الشروق.

شريح، محمود وعطيه. جورج (٢٠١٢م). ادبيات معاصر عربى. ترجمه دكتر على گنجيانخنارى و عباس نوروزپور. الطبعة الأولى. طهران: سخن.

شريعتى، على. (٢٠١٠م). هنر. الطبعة الثانية عشر. طهران: انتشارات چاپخش.

شميسا، سيروس. (١٩٩٧م). انواع ادبى. الطبعة الخامسة. طهران: انتشارات فردوس.

الشيخ، إبراهيم. (١٩٨٧م). مواقف اجتماعية وسياسية فى أدب نجيب محفوظ "تحليل ونقد". لاط. القاهرة: مكتبة الشرق.

ضيف، شوقى. (١٩٨٣م). نقد ادبى. ترجمه لميعه ضميرى. الطبعة الأولى. طهران: اميركبير.

طهبدر، عبدالمحسن. (١٩٩٠م). الرّؤية والأداة "نجيب محفوظ". لاط. لامک: لانا.

عســگرى، عســگر. (٢٠١٠م). نقد اجتماعى رمان معاصر فارســى. الطبعة الثانية. طهران: نشر فروزان.

علائى، مشيت. (٢٠١١م). زيبا شناسى و نقد. الطبعة الأولى. طهران: كتاب آمه.

العنانى، ســلوى. (٢٠٠٢م). نجيب محفوظ أمير الرواية العربية. لاط. القاهرة: مكتبة الدار العربية للكتاب القاهرة.

عيد، حســين. (١٩٩٧م). نجيب محفوظ ســيرة ذاتية أدبية. الطبعة الأولى. القاهرة: الدار المصرية اللبنانية.

الغيطانى، جمال. (١٩٨٠م). نجيب محفوظ ... يتذكر. لاط. بيروت: دار المسيرة.

فــرج، نبيل. (١٩٨٦م). نجيب محفوظ "حياته وادبه". الطبعــة الأولى. مصر: الهيئه المصريه العامه للكتاب.

فرزاد، عبدالحسين. (٢٠٠٩م). نقد ادبى. الطبعة الخامسة. طهران: نشر قطره.

كفافى، محمد عبدالسلام. (٢٠١٠م). ادبيات تطبيقى. ترجمه دكتر سيد حسين سيدى. الطبعة الثانية. مشهد: انتشارات آستان قدس.

محمد سعيد، فاطمه الزهراء. (١٩٩٩م). سمبوليسم در آثار نجيب محفوظ. ترجمه دكتر نجمه رجائى. الطبعة الأولى. مشهد: دانشگاه فردوسى.

محفوظ ، نجيب. (١٩٧٤م). القاهره الجديده. الطبعة الثامنة. القاهره: مكتبه مصر.

ـــــــ . (١٩٥٥م). زقاق المدق. الطبعة الثامنة. القاهره: مكتبه مصر.

ـــــــ . (١٩٧٣م). بدايه النهايه. الطبعة التاسعة. القاهره: مكتبه مصر.

ـــــــ . ٢٠٠٦م، أ. اتحدث اليكم. لاط. بيروت: دارالعوده.

ـــــــ . ٢٠٠٦م، ب. أولاد حارتنا. الطبعة الأولى. قاهره: دارالشروق الأولى.

المهنا، عبدالله بن محمد بن ناصر. (لاتا). دراسة المضمون الروائى فى أولاد حارتنا لنجيب محفوظ. لاط. لامک: لانا.

موســى، فاطمه. (١٩٩٧م). فى الرواية العربية المعاصرة الأعمــال الكاملة. الجزء الأولى. الطبعة الثانية. مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

وادى، طه. (١٩٩٦م). الروايه السياسه. الطبعة الأولى. مصر: دار النشر للجامعات المصريه.

ـــــ (١٩٩٤م). دراسات فى نقد الروايه. الطبعة الثالثة. مصر: دارالمعارف.

ياغـى، عبدالرحمن. (١٩٩٩م). فى الجهود الروائية من سـليم البسـتانى إلى نجيب محفوظ. لاط. بيروت: دار الفارابى.

مواقع الانترنت

http://www.yaheyrouth.com

http://www.ar.wi

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی